CONCOURS GÉNÉRAL - Session 2011

ÉPREUVE DE LANGUE VIVANTE : ARABE

Texte

أقيم أول عرض للسينما في العالم في باريس في شهر ديسمبر عام 1895 ، في الصالون الهندي بالمقهى الكبير (جران كافيه) في شارع كابوسين . وبعد عام واحد ، انتقلت السينما إلى مصر . أقيم العرض الأول في الإسكندرية في نوفمبر 1897 في قاعة يملكها رجل إيطالي اسمه ديللو استرولوجو. كان ذلك حدثا فريدا في حياة المصريين والأجانب المقيمين في مصر وامتلأت الصحف آنذاك بالتعليقات الحماسية على الاختراع الجديد . ولم تمنع الأسعار الباهظة للتذاكر الناس من الإقبال على السينما . كان العرض يستغرق نحو نصف ساعة وينقسم إلى عدة مناظر مصورة منفصلة لا تزيد كل منها عن بضع دقائق ، وتدور عادة حول مشاهد من الحياة اليومية في الشوارع والغابات والبحار . وبرغم سذاجة الموضوع وبدائية التصوير فقد شغف الناس حبا بالسينما ، فكانوا يدفعون ثمن التذاكر ثم يهرولون داخل قاعة العرض ، يصطفون على المقاعد في انتظار اللحظة السحرية عندما يتم إطفاء الأنوار فيسود الظلام التام ثم تبدأ المناظر في الظهور على الشاشة . لا شك أن المتعة التي أحس بها المتفرجون الأوائل وهم يشاهدون لأول مرة حياة حقيقية على الشاشة أكبر بكثير من استمتاعنا اليوم بفن السينما .

على أن تلك المتعة الكبرى قد جلبت معها آنذاك مشكلة طريفة . فالمتفرجون في حالة الإثارة القصوى التي كانت تتملكهم من جراء متابعة الفيلم ، كانوا كثيرا ما يندمجون تماما في الأحداث فيتخيلون أن ما يرونه حقيقي فعلا . فإذا ظهر البحر الهائج بأمواجه العالية أحسوا بالرهبة وما إن ظهر على الشاشة قطار مسرع ينفث دخانا كثيفا حتى يطلق كثيرون منهم صيحات فزع حقيقية ويتدافعون خارجين من القاعة خوفا من أن يدهسهم القطار . ولما تكررت هذه الحوادث المؤسفة ، بدأ صاحب السينما ديللو استرولوجو تقليدا جديدا . فكان ينتظر المشاهدين أمام مدخل القاعة ، وبعد أن يدفعوا ثمن التذكرة وقبل أن يجلسوا في مقاعدهم ، يصطحبهم إلى شاشة العرض ويمسكها بأصابعه ويقول :

– هذه الشاشة ليست سوى قطعة قماش ، لا تفرق كثيرا عن ملاءة السرير ، الصور التي سوف ترونها تنعكس على الشاشة ولا تنبعث منها بعد قليل سترون قطارا مسرعا. تذكروا أيها السادة أن هذه مجرد صورة للقطار ، وبالتالي لا يوجد أي خطر عليكم .

عندما نقرأ هذه الواقعة الآن ، بعد أكثر من مائة عام ، يبدو لنا فزع المتفرجين من صورة القطار غريبا ومثيرا للسخرية لكن بعض قراء الأدب لا زالوا بكل أسف ، حتى اليوم ، يمارسون نفس الخلط بين الخيال والواقع ... هذه المشكلة عانيت منها كثيرا كما عانى روائيون كثيرون ...

وطالما فكرت في السؤال : ما الذي يدفع قارئا ذكيا متعلما إلى اعتبار تصرفات شخصية أدبية في رواية متخيلة محاولة للإساءة للدين ولفئة من المجتمع . السبب في هذا الخلط ، للأمانة لا يقع كله على عاتق القارئ ، بل إنه موصول بخيوط دقيقة بطبيعة الأدب ذاته ، وذلك لسببين :

أولا : إن جزءا كبيرا من متعة الأدب يرجع إلى أنه يمنحنا سلطة الخيال . إننا نستمتع بتخيل أحداث الرواية وشخصياتها كما يحلو لنا . وهذا التخيل لا يتحقق بدون حدوث الإيهام ، بمعنى أننا لا يمكن أن نستمتع بالقراءة بدون أن نتوهم ، في لحظة ما ، أن ما نقرأه ليس مختلقا وإنما قد حدث فعلا . (ومن أجل تحقيق هذا الإيهام يتم إطفاء الأنوار في قاعات العرض سواء في السينما أو المسرح) ... وبالتالي فإن الخلط الذي يقع في أذهان البعض بين الخيال والواقع ، هو دليل على إجادة الفنان لعمله ، لأنه نجح في تحقيق الإيهام للقارئ . لكن الإيهام في هذه الحالة يكون مبالغا فيه فيخلط بين الصورة والحقيقة .

أما السبب الثاني فحقيقة أن الأدب فن الحياة . إن الرواية " حياة على الورق تشبه حياتنا اليومية ، لكنها أكثر عمقا ودلالة وجمالا " . من هنا فإن الأدب ليس فنا منعزلا ، بل هو شأن الحياة نفسها ، يتداخل مع العلوم الإنسانية مثل التاريخ وعلم الاجتماع وعلم الأجناس . وهذا التداخل سلاح ذو حدين . فهو من ناحية يمنح الروائي ذخيرة لا تنفد للكتابة لكنه من ناحية أخرى ، سلبية ، يدفع البعض إلى قراءة العمل الأدبي باعتباره دراسة في علم الاجتماع . وهذا خطأ بالغ . إن الأديب ليس باحثا علميا لكنه فنان يتأثر وجدانيا بشخصيات من الحياة فيسعى إلى تقديمها في أعماله , وهذه الشخصيات تقدم لنا حقيقة إنسانية لكنها لا تمثل بالضرورة حقيقة اجتماعية . إن العمل الأدبي قد يفيد في إعطاءنا بعض الدلالات عن مجتمع ما لكنه لا يستطيع أن يقدم الخلاصة بالمعنى العلمي للكلمة , إن علم الاجتماع ، بدراساته الميدانية والنظرية وإحصائياته ورسومه البيانية ، هو القادر على تقديم الخلاصة العلمية عن مجتمع ما وليس ذلك إطلاقا دور الرواية أو قصيدة الشعر . إن شخصية فتاة مصرية محجبة في رواية قد تعطينا فكرة عن أحاسيس بعض المحجبات أو مشكلاتهن ، لكنها بالتأكيد لا تمثل كل المحجبات في مصر . فمن يريد أن يعرف " الحقيقة " في ظاهرة الحجاب عليه بمطالعة الدراسات التي أجراها علماء الاجتماع عن هذا الموضوع ؟

عن " نيران صديقة " لعلاء الأسواني

I. QUESTIONS

1. حلل النص مبرزا محوريه الأساسيين.
2. ما هي وظيفة الفن (أدب أو سينما أو رسم ...) في المجتمع ؟ برر جوابك بأمثلة .
3. ما هو دور الخيال في الخلق الفني ؟ وما هو دور التخيّل أو التوهّم في المتعة الفنية ؟ برّر جوابك بأمثلة .

II . VERSION

ترجم النص إلى الفرنسية من بداية النص ("أقيم أول عرض للسينما") حتى السطر السابع ("والغابات والبحار")